

## سنوات الطفولة والحنين إلى مراتبها

كثيرا ما أتحدث عن السنوات التي أردنا العودة إليها ولكننا لم نتمكن من ذلك. من سنوات الطفولة تلك التي تركت طعمًا جيدًا أحيانًا وذوقًا سيئًا أحيانًا. تلك السنوات القوية التي ترسم الجوانب الإيجابية والسلبية في حياة الإنسان وتشكل المستقبل...

ورغم أنه من غير الممكن العودة إلى تلك السنوات، إلا أنني أعتقد أن العيش والحفاظ على تلك السنوات بكل نضارتها يقدم مساهمات لا توصف للإنسان في رحلة البحث عن نفسه وإدارة نفسه.

ولهذا الغرض، كلما سمح الوقت، أحب أن أسير في شوارع مديات، حيث قضيت طفولتي، حيث ركضت ولعبت وكبرت. هذا الموقف، الذي يعيد أفكاري إلى الماضي وينعش ذكرياتي، هو بمثابة نشاط مريح بالنسبة لي. وأنا أتذكر أصدقاء طفولتي المنتشرين في جميع أنحاء العالم، وذكريات الطفولة المحيطة بي، أشعر وكأنني عدت إلى تلك السنوات. أعيش تقلبات مدمرة ومرعبة. أنا أقع في حبهم. بينما أشعر بتاريخ مديات القديم بعمق، أصبحت صديقًا للأشخاص الذين التقيت بهم في تلك الشوارع التي قضيت فيها طفولتي. أشعر وكأنني قضيت وقتًا ممتعًا. باختصار، ذكريات الطفولة تنتعش، أشعر بتلك الذكريات ترن حولي.

قبل بضعة أسابيع، بينما كنت أقوم بنزهة تأملية في شوارع مديات، مررت بمنزل جدي الراحل إبراهيم سويسال، الذي كان أحد أفراد عائلة بيت أحو. عندما رأيت أن المنزل قد تم ترميمه، دخلت إلى الداخل. صعدت إلى السطح. تذكرت صورة شخصية لي التقطتها على ذلك السطح عندما كان عمري 4-5 سنوات. وبعد مرور خمسين عامًا، شعرت بالإثارة لالتقاط صورة ثانية في نفس المكان (على ذلك السطح). لأنني قضيت طفولتي في ذلك المنزل ونشأت في ذلك المنزل. ومع ذلك، لم أذهب إلى هذا المنزل لفترة طويلة.

لقد شعرت بمشاعر مختلطة أثناء زيارتي لذلك المنزل القديم، الذي تم ترميمه على يد مالكه الثالث وصديق الحي الغالي نوري إرجين (بيت سنة). لقد كان يومًا تم فيه تحديث وإحياء ذكريات الطفولة. في ذلك اليوم، أثناء زيارتي للمنزل، كنت حزين وسعيد على حد سواء.

لأنه في ثقافتنا، كلمة "المنزل" تعني المنزل، وليس المنزل الذي نعيش فيه. المنزل هو ذلك المكان الهادئ والأمن الذي نشعر فيه بأننا ننتمي، حيث ينتظرنا أربابنا ويفتقدوننا دائماً.

بالمعنى الصوفي، المنزل هو روح الإنسان. ولذلك فإن الوطن هو الوطن الأصدق. الراحة الروحية للإنسان هي المكان. وهو المكان الذي يراه في أحلامه. إنها الأرض التي يتوق فيها إلى السلام. إن الشوق إلى تلك الأرض هو الذي يبقي الناس على قيد الحياة. إنه ألم الشوق. إنها مشكلة ألك. هذه هي المشكلة التي تجلب الناس إلى ولادة جديدة. هذه المشكلة تجعل الناس متعبين. لكن هذه المشكلة ترهق الناس. ولكي يصل الإنسان إلى أرض الشوق، يكفيه ذلك العناء.

هذه المشكلة تأخذ الإنسان في رحلة داخلية. إن تأثيره وشفائه يكمن في الرحلة الداخلية التي تم القيام بها لهذه المشكلة. وهو في محطات الرحلة. إنه في هدوء تلك الرحلة. ومن أجل لم الشمل، يجب على المرء أن يبقى على هذا الطريق. ويجب السير على هذا الطريق. يجب أن تكون هناك ميزة في كل محطة ومعنى في كل خطوة. ينبغي للمرء أن يبقى على هذا الطريق حتى ينتهي الوقت.

### أليس الشيء الرئيسي هو أن تكون على الطريق وتبقى على الطريق؟

لكي تكون على الطريق وتبقى على الطريق، من الضروري أن تعرف وتفعل وتكون. ومع ذلك، فمن الضروري أن يكون كلاهما من أجل المعرفة والعمل. والنوع الآخر هو العرج.

لأنه بدون الأخلاق والآداب، ومع ستائر الكليشيهات المحفوظة والأفكار النمطية، لا يستطيع الإنسان أن يتذكر نفسه، ولا يجد جوهره، ولا يخلق نفسه، ولا يستطيع أن يصل إلى أرض الشوق التي يشترق إليها. ولا يستطيع أن يفهم الطريق. هذا وعي. هذا وإن الضوء الذي نسلطه على طريق الوعي لن ينيّر طريق حياتنا فحسب، بل المستقبل أيضاً.

نعم، أحياناً نشعر بالملل من الحياة المحفوظة. نريد الخروج من الوضع (أو الموقف) الحالي من أجل الانفتاح على الحياة المستفادة. نخرج من المنزل، نخرج، نخرج من أنفسنا. ومع ذلك، حتى لو خرجنا، لا يزال هناك شيء يزعجنا. في الواقع، ربما يكون الحل هو التوجه إلى الداخل بدلاً من الخارج حتى يتم تحديثك بالمعلومات الجديدة. تحول إلى الداخل والعمق. عندما ننتقل داخل

أنفسنا، إلى جوهرينا، نرى أن ما نبحت عنه مخفي هناك. نجد هناك السلام الذي كنا نبحت عنه في الخارج منذ سنوات ولكن لم نتمكن من العثور عليه. لكن كما قال القديس أغسطينوس (353-430):  
"إذا كانت العيون مغلقة فلا فائدة من القرب من النور".

لأن اعرف، افعل، كن من الضروري أن نساfer في الرحلة بوعي واعي. هذه الرحلة هي من نوعين. الأول داخلي، والثاني خارجي. التحديد والتشكيل الرئيسي هو الأول. وبما أن مسار الرحلة الخارجية ونجاحها يتناسب طردياً مع أسلوب ونوعية الرحلة الداخلية، ومن المفيد أن نأخذ في الاعتبار العبارة التالية ذات المعنى لدكتور بديري روحسلمان (1898-1960): يقول: "افسح طريقك من جوهري الناس إلى أرواحهم، وتعرف على الجوهر هناك. لا تنظر إلى أي شخص. إذا كنت تحتقر الآخرين، فإن دواخلك صدئة ومنشورك ضبابي. انحت دواخلك، وصقلها، وأزل كل شك من قلبك. عندها ستدرك أن ضباب عدم اليقين الذي يغطي الكون سوف يذوب، وسوف تتبلور الحقائق الكامنة وراءه، وسوف تبدأ في رؤية الأشياء والكائنات بقيمتها الخاصة."

لأن الإنسان عبارة عن مزيج من الأبعاد المادية-الجسدية والروحية. ولا يمكن للإنسان أن يكون كلاً كاملاً إلا بهذين البعدين. إهمال شخص ما هو علامة على النقص. إن البعد الأكثر تميزاً وفعالية للإنسان هو بعده الروحي. ولهذا مكتوب: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان" (لوقا 4: 4).

أتمنى الصحة والنجاح للقارئ الكريم والجميع في رحلتهم الداخلية والخارجية نحو حياة تحتضن التعلم.

ملفونو يوسف بختاش

رئيس جمعية الثقافة واللغة السريانية وادبها / ماردين

ترجمة: سهيل أحمد